محاضرات في مقياس:

الإستراتيجية والأمن الدولي

الإستراتيجية مصطلح متداول ليس عند المختصين فحسب بل عند العامة كذلك، وهو منبثق من الفكر العسكري بفعل ارتباطه لفترة طويلة بما يحدث في ساحة المعركة، ومع التطورات اللاحقة اقتحم المصطلح المجال الاقتصادي والمجال السياسي.

ولعل التحدث عن شيء بأنه استراتيجي يدل على انه مهم لا يقدر بثمن علاوة على تعلقه بالمستقبل، كما أن الحل الاستراتيجي يبحث عن هزيمة العدو والنصر في المعركة باستخدام كل الوسائل لتحقيق الهدف.

مفهوم الإستر اتيجية:

أصل المصطلح:

يعتبر من أهم المفاهيم التي اهتم بها الباحثين رغم هلامية المصطلح، ويعود الى اليونان عند **الستيد** في كتابه تعليمات عسكرية للقادة، أي انه يعود إلى الكلمة اليونانية strategos الدالة على القائد حرفيا، كما يدل أيضا على الحيلة والخديعة في المعركة والحرب، كما أخذ معنى الذكاء ثم معنى المناورة، كما يدل على فن قيادة القوات.

وتاريخ المصطلح يعود إلى كتابات سان تزو الصيني في مؤلفه فن الحرب الذي أرشد فيه القائد العسكري إلى التخطيط للنصر في الحرب، حيث يقول مثلا تظاهر في الشرق واضرب في الغرب.

وظهر في أثينا في القرن 5 قبل الميلاد من خلال المخطط الاستراتيجي، حيث تختار القبائل عشرة استراتيجيين أو مخططين يؤسسون مدرسة لتدريس العلوم الإستراتيجية، وجميع أعضاء المدرسة لهم إمكانية قيادة الجيش أو جزء منه، إلا أن المفهوم تغير بعد الاسكندر الأكبر ليشمل كافة أراضي المملكة.

واستمر المصطلح عبر العصور وفق جدلية العلاقة بين الحرب والسياسة، وفي القرن الثامن عشر أصبح يدل على فن قيادة الكتائب، أما في القرن العشرين أصبح يدل على خطة محكمة بعيدة المدى محيطة بمختلف المعطيات والتفاعلات.[1]

ولهذا تعرف الإستراتيجية العسكرية على انها سياسة وأسلوب الحرب،[2] كما تعرف على أنها همزة وصل بين الوسائل العسكرية والغايات السياسية، ولعل هذا التعريف يبعدنا عن الإستراتيجية الشاملة التي تعني بتوظيف كل الموارد الوطنية من اجل تحقيق الأهداف السياسية.[3]

أي أنها تشمل القوة المسلحة، والاقتصاد، والدعاية، والدبلوماسية.

المدرسة الغربية:

يعرفها فوش بأنها: فن حوار الإرادات التي تستخدم القوة لحل خلافاتها.[4]

أما ليدل هارت فيعرفها بأنها: فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة.[5]

كما يعرفها بيير غالوا بأنها: هي فن المزج بين الفكرة السياسية والوسائل المتاحة لإرغام الخصم على القبول بالغاية أو الغايات المتوخاة.[6]

ويعرفها كارل فون كلاوزفيتز بأنها استخدام الاشتباك وسيلة إلى الوصول إلى هدف الحرب.[7]

أما الفليد مارشال فيرى بأنها إجراء الملائمة العملية بين الوسائل الموضوعة تحت تصرف القائد للوصول إلى الهدف المطلوب.

إلا انه مع توسع دائرة صناعة القرار إلى غير رئيس الدولة أصبحت الإستراتيجية تابعة للسياسة.

وعليه فالإستراتيجية هي عملية التخطيط اللازمة لتعبئة الموارد وتوجيه السياسات واستخدام الوسائل لمواجهة موقف معين من اجل تحقيق أهداف محددة سواء كانت آنية أو متوسطة او بعيدة المدى.[1]

المدرسة الشرقية:

يرى لينين بان الإستراتيجية الصحيحة هي التي تتضمن تأخير العمليات إلى الوقت الذي يسمح فيه الانهيار المعنوي للخصم للضربة المميتة بان تكون سهلة وممكنة.[2]

أما ماو تسي تونغ فيعرفها بأنها دراسة قوانين الوضع الكلي للحرب.

المدرسة العربية:

فالمدرسة المصرية ترى بأن الإستراتيجية هي أعلى مجال في فن الحرب وتدرس طبيعة وتخطيط وإعداد وإدارة الصراع المسلح.

أي انها أسلوب علمي نظري يبحث في مسائل إعداد القوات المسلحة للدولة واستخدامها في الحرب لهزيمة العدو.[3]

أما المدرسة العراقية فترى بان الإستراتيجية هي فن إعداد وتوزيع واستخدام القوات المسلحة أو التهديد باستخدامها لغرض تحقيق أهداف السياسة العليا للدولة.

وعليه فالقاسم المشترك بين هذه التعاريف هي أن الإستراتيجية هي خطط ووسائل تعالج الوضع الكلي للصراع الذي تستخدم فيه القوة بشكل مباشر أو غير مباشر من اجل تحقيق هدف السياسة الذي يتعذر تنفيذه عن غير ذلك السبيل.[1]

الإستر اتيجية بين العلم والفن

الإستراتيجية قد تكون علم كما قد تكون فن؛

ففي الأدبيات الروسية هناك تمييز بين النظرية العسكرية والعمل العسكري، بمعنى أن أي نشاط يكون مميزا من خلال القوانين التي يخضع لها، أي انه يقام ويستند إلى النظرية ثم تأتي الممارسة لتزيد من غنى النظرية.

وفي التخطيط الاستراتيجي يجب معرفة الكثير نظريا للحصول على القليل عمليا، فسان زو SUNZU يرى أن أكثر القادة تميزا هم الأكثر حكمة والأكثر استشرافا ورؤية، كما يؤكد فردريك الثاني في أوربا على ضرورة قراءة الأدب والرسائل للعسكريين.

وعليه يجب قراءة الإستراتيجية كعلم من اجل الحصول على الإستراتيجية كفن(تطبيق عملي)، والمعرفة النظرية سابقة للعمل التمثيلي، كما أن مراقبة المبادئ ومعرفتها لا يكفي للحصول على النصر لكن يخفف من وقوع الهزيمة، وفي هذا الإطار يؤكد كلاوزفيتز أن النظرية هامة جدا لتكوين منفذين حتى تكون لهم خبرة تساندهم لإكمال مهامهم.

هل الإستر اتيجية علم عسكري:

الإستراتيجية ليست مجال مستقل، فهي فرع من مجال ضخم هي قيادة الحرب، أما اليوم فهي علم قيادة الصراع، بعدما كانت علم عسكري(قيادة الحرب) كما عرف عند الرومان أو الفروسية في العصر الوسيط، وفن الميليشيات مع بداية العصر الحديث.

كما أنها تعتبر فن الحرب أي أن الإستراتيجية إلى غاية وقت غير بعيد كانت دائما ضمن الفكر العسكري حتى ظهور استراتيجيات من أنواع أخرى، كالإستراتيجية الاقتصادية والإستراتيجية الإعلامية والإستراتيجية السياسية والدبلوماسية...

لكون الحرب والسلام انشغال عالمي ومن ابرز الأدبيات التي تشير إلى ذلك الانطولوجيا العالمية لعلم الإستراتيجية لجرارد شاليان، كما أنها اليوم تهتم وتعالج السلم أكثر من الاهتمام بمجال النزاع والحرب.[1]

كما أن علم الإستراتيجية يأخذ من كافة العلوم الأخرى؛ من العلوم التجريبية لتطوير قاعدتها التقنية، ومن علم الاقتصاد لتطوير إمكاناتها، خاصة وان الفكر الاستراتيجي اكتسب النظرة العقلانية، وتزود بمختلف أدوات التحليل والتقييم التي يستخدمها علم الاقتصاد، ومن علم الاجتماع من اجل ضبط الصراع، كما انه يركز على المحددات الاجتماعية(روح الفريق، التعاون، التماسك الاجتماعي) في صياغة الاستراتيجيات وتنفيذها، علاوة على تركيزه على القيم التي تحكم العقل الاستراتيجي، كما استفاد من علم النفس، حيث يستخدم أدواته في تحليل صانع الفكر الاستراتيجي من حيث إدراكا ته وتعامله مع التهديدات قبولا وتجنبا، وذكائه لتشخيص القوة والضعف، ومن التاريخ للاستفادة من أمثلة من خلال تاريخ الحروب أو مذكرات القادة التي تعد من ابرز مراجع الإستراتيجية،[2] فقادة الجيوش قدموا تجارب حية كانت المؤشر بولادة الفكر الاستراتيجي، كما أنهم أقاموا مؤسسات لتعليم الإستراتيجية تصميما وتطبيقا.

موقع الدراسات الإستر اتيجية في مجال العلاقات الدولية

الدراسات الإستراتيجية هي خبرة واثر استعمال القوة في العلاقات الدولية، والسياسة الدولية هي كل تحديد للهياكل السياسية الفوضوية والمنظمة الموجودة في نظام العلاقات الدولية، ومواضيع الدراسات الإستراتيجية هي السباق نحو التسلح، والردع النووي، والانتشار النووي، والدفاع ونزع السلاح والرقابة على التسلح...

أما مواضيع السياسة الدولية هي الصراع على السلطة، النزاعات والصراعات، الأمن والحرب والسلم، التحالفات ...، والدراسات الإستراتيجية هي مجال تكنولوجي وعسكري عند باري بوزان وكأنه استراتيجي تقليدي، ولتجاوز هذا المفهوم الضيق يجب دراسة إشكالية الأمن في العلاقات الدولية، ويرتبط بالحقائق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية.

وهناك من يرى أن الدراسات الإستراتيجية مجال شبه مستقل في العلاقات الدولية يهتم بمعرفة استخدام القوة في السياسة الدولية.

الفرق بين الإستر اتيجية والتكتيك

التكتيك هو عملية نظامية يتم فيها تنظيم المهارات الإنسانية والوسائل العسكرية في ساحة المعركة، وهو فن عملياتي يهدف إلى تحقيق أهداف في فترة زمنية قصيرة.

كما يعرف بأنه فن استعمال الأسلحة في المعركة للحصول على اكبر قدر ممكن من الفعالية، أما اللوجستيك فهو التحركات ونقل المعدات والأسلحة إلى ميدان المعركة، أما الإستراتيجية فهي علم التنسيق بين هذين من الفرعين من العلوم العسكرية بغية تحقيق النصر.

وتعرف الإستراتيجية أيضا بأنها علم وفن استعمال القوة الاقتصادية والقوة السياسية والعسكرية والسيكولوجية من اجل التأثير على المصالح القومية من طرف دولة على دولة أخرى لتحقيق الهدف الاسمي للدولة.

وهناك من يرى أن الإستراتيجية مفهوم نظري والتكتيك تنفيذ لهذا المفهوم، وهناك من يعتمد معيار المعركة فالإستراتيجية من اجل القيادة والتكتيك من اجل التنفيذ، كما أن الاعتبارات التكتيكية تقود إلى مهاجمة النقاط الأكثر سهولة أما الاعتبارات الإستراتيجية تقود لوضع مواقف تعطي نتائج كبرى وحاسمة.

والتكتيك لا يختلف عن الإستراتيجية إلا من خلال الهدف، ووسائلهما متشابهة، فالإستراتيجية لا توجد تصرف أو فعل فوري والتكتيك دائم وفوري، فمثلا التكتيك العسكري هو

الأحكام والتنظيمات القادرة على تنظيم وتوظيف مهارات الإنسان والوسائل والأماكن بهدف تحقيق هدف فوري.[1]

بمعنى أن التكتيك يخضع للتصرف الآني بينما تخضع الإستراتيجية للتصرف البطيء المحكم، كما أن التكتيك له فورية التطبيق أو السرعة مقارنة بالإستراتيجية.

وحاليا يصعب التمييز بينهما، لكن الإستراتيجية تعني عمل القيادة على المستوى العام، أما التكتيك فيعني عمل القيادة على المستوى الجزئي أو المحلي، حيث يقال أن طائرة إستراتيجية فهذا يدل على أنها تستعمل على المدى البعيد وتحمل قنابل ضخمة، وطائرة خفيفة تحمل قنابل صغيرة فقد توصف على أنها تكتيكية لكن هذا لا يعني إبعاد صفة الإستراتيجية عنها.[2]

كما أن التكتيك يهدف إلى تنفيذ الالتزامات التي تم وضعها ضمن نطاق الإستراتيجية التي تفرض الوصول إلى الأهداف المثبتة بواسطة الإستراتيجية العامة، أي أن الاستراتيجي يحضر والتكتيكي ينفذ، ولهذا فخط الفصل بينهما صعب وهما يقعان في نفس الخط.

تطور الفكر الاستراتيجي

الفكر الاستراتيجي الأسيوي القديم

تشكل الفكر الاستراتيجي الصيني في القرن 5-4 قبل الميلاد، ومن أشهر الاستراتيجيين سان زو sun zi الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وله مؤلف فن الحرب الذي ترجمه الروس في 1860 و1889، والى غاية القرن العشرين بدأ الاهتمام الأوربي بالفكر الاستراتجي الصيني، وترجم إلى الانجليزية والألمانية والايطالية والروسية.[3]

الفكر الاستراتيجي الغربي القديم

عرف **اليونان** التحليلات الإستراتيجية، وكان الإسبارطيون أول من تناولها من خلال تجاربهم في الصراع والحرب، وكانوا يعلمون الأفكار الإستراتيجية لشبابهم من خلال معلمين عسكريين يسمون بالتكتيكيين.

ويلاحظ على الفكر الاستراتيجي اليوناني القديم انه اعتمد على الممارسة العملية أكثر من التنظير، ورغم ذلك هناك بعض المحاولات كتيوسيديد thucydide وازونوفون xenophon في كتابه تحليل الفروسية وهو تكتيكي أكثر منه استراتجي.

الرومان والمقاربة البراغماتية:

كان **للرومان** فكر استراتيجي وتكتيكي أصيل وجديد، جاء ثمرة العقيدة العسكرية الرومانية الراغماتية، حيث كان يشترط على المرشحين للوظائف العامة المشاركة في عشرة حملات عسكرية.[1]

ومن ابرز التحليلات التكتيكية والإستراتيجية الرومانية نجد: بوليب polybe في كتابه taktika وفرونتيس frontinus.

غير أن هناك من يرى أن الرومان ليس لديهم أكاديمية عسكرية ولا توجد عملية مؤسساتية للتكوين والتدريب فيما يتعلق بالإستراتيجية والتكتيك، وليس لديهم منهجية لتقييم المرشحين للوظائف العامة.

ويعد القيصر الروماني المنظر والممارس للإستراتيجية، باعتباره يحقق انتصارات كبرى ويقدمها في مؤلفات لقت نجاحا واسعا.[2]

أما البيزنطيون فقد ركزوا على المؤسسات العسكرية وعلى قيادة المعركة أكثر من أي شخص أخر، ومن ابرز الأسماء الإستراتيجية المعروفة syrianos

لكن الكثير من التراث الاستراتيجي مفقود.

الفكر الاستراتيجي العربي الإسلامي

في القرن الثالث عشر في عصر المملوكية عرفت بعض المؤلفات التي تقترب من الإستراتيجية والتكتيك مثل التعبئة العسكرية.

وفي القرن الرابع عشرة كتب ابن خلدون عن الحروب والطرق المستخدمة في تحقيق النصر، ويرى أن التفوق في الحرب يعود إلى الحظ والصدفة بعيدا عن قوة التسلح.

الفكر الاستراتيجي الأوربي الحديث:

تطور الفكر الاستراتيجي في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، حيث ظهرت بعض المؤلفات في اسبانيا مثل كتاب الحرب لصاحبه vellena وفي فرنسا نجد روبرت بلزاك وكتابه مبادئ الصراعات النبيلة.

ومن أشهر الاستراتيجيين يمكن ذكر مكيا فيلي التكتيكي والاستراتيجي في القرن 16 ومؤلفه فن الحرب، واستطاع إعلان ولادة فكر استراتيجي منظم ومؤسس.

وتأخر الانجليز عن الفكر الاستراتيجي إلا أن هناك بعض الأدبيات منها كتاب خطابات عسكرية لصاحبه جون سميث jhon smithe، أما الفرنسيون فقد استفادوا من الحروب الايطالية وكتبوا في فن الحرب ومن أبرزهم reny rousseau، 1548، والألمان أنتجوا الكثير من المؤلفات الإستراتيجية نتيجة للحروب بين الدويلات الألمانية ولعل أبرزهم lazarus vonshwendi الذي له كتاب خطابات الحرب.[1]

الإستراتيجية في القرن السابع عشر

يتميز القرن السابع عشر بالإنتاج الفكري الكبير حول التكتيك نتيجة الصراعات داخل أوربا وهنا الممارسة سبقت النظرية، كما تم طرح مشكلة حقل أو تخصص الإستراتيجية.

وتطور الفكر الاستراتيجي بفعل :

- صعود أوربا الشمالية لا سيما بروز النموذج الهولندي الذي أسس مقاربة علمية لفن الحرب والتنظيم العسكري، الذي احدث توازن في الآداب العسكرية لصالح أوربا الشمالية

بعدما كان خاضعا للمدرسة الاسبانية الايطالية في القرن السابق، فضلا عن دور الدراسات العسكرية الانجليزية قبل الحرب الأهلية التي أسست لنموذج جديد للجيش.[1]

- انحطاط أوربا الجنوبية ومنه تراجع الفكر الاستراتيجي في بلدان أوربا الجنوبية رغم وجود بعض الأدبيات لصالح الفكر الاستراتيجي الانجلوسكسوني.

ومن بين الكتابات هناك montecucculi الايطالي الذي يعد الاستراتيجي الأول الذي كتب في الدراسات الإستراتيجية وله كتاب الفن العسكري الذي ترجم للعديد من اللغات، حيث قام بتصنيف الحروب إلى داخلية-خارجية ودفاعية- هجومية وبحرية- برية، كما كتب عن قيادة الجيش حيث شبه الحرب بلعبة الشطرنج.[2]

الإستراتيجية في القرن الثامن عشر:

عرف الفكر الاستراتيجي تطور خاصة التكتيك بفعل:

- ازدهار الكتابات العسكرية وتطور عمليات الطباعة والنشر.
- اهتمام العامة بالقضايا العسكرية.
- حالة السلام الطويلة في القارة الأوربية وتعقيدات فن الحرب وقوة الدولة.

واستمر النقاش حول التكتيك في مجال العلوم العسكرية البحرية والبرية إلى غاية تبلور الأفكار الإستراتيجية في فرنسا، حيث ظهر البعد الاستراتيجي في فرنسا نتيجة لاتساع الفعاليات العسكرية واتساع ميدان المعركة الذي أظهر الحاجة إلى تخطيط استراتيجي شامل، وهنا برز التطلع إلى الإستراتيجية في العديد من الأدبيات.

كما أن الألمان كذلك كان لهم نصيبهم من هذه الأدبيات، والبريطانيين كذلك.

الآباء المؤسسين للفكر الاستراتيجي المعاصر:

1. جوميني henri-antoine jomini السويسري 1779-1869 وهو الذي وضع الأسس الأولى لعلم الإستراتيجية المعاصر، وله كتاب بعنوان معالجة التكتيك الكبير أو علاقة حرب السنوات السبع، واستقى فكره من ارث القرن الثامن عشر ونموذج نابليون.[1]

2. كارل كلاوزفيتز clausewitz 1780-1869 وهو ألماني شارك في الحروب ضد نابليون وله كتاب فن الحرب، وتعرف الإستراتيجية العسكرية عنده على أنها: فن الإعداد للمعارك ووضع الخطط للحملات وللمعارك، كما يعرفها أيضا بأنها فن استخدام المعارك لتحقيق أغراض الحرب.[2]

3.الكلاوزفيتزيون الجدد new- clausewitziens : كلاوزفيتز لم ينشر دراساته لاعتقاده بأنها لم تكتمل بعد، وبعد وفاته نشرتها زوجته إلا انه بقي مغمور، حتى اشتهر كاستراتيجي لأسباب قومية أكثر منها فكرية؛ كون الإمبراطورية البروسية المتفوقة في العديد من المعارك كانت بحاجة إلى شرعية نظرية تبرر لتفوقها الميداني.

إلا انه انتقد واعتبر البعض أن فكره يركز على السياسة كحل أول ثم الهجوم ثانيا، باعتبار انه يرى أن الحرب استمرار للسياسة لكن بوسائل أخرى، وهنا يتوافق مع سان تزو ومقولته بان كسر مقاومة العدو دون قتال هو دليل على التفوق القتالي، علاوة على النقاش حول تفسير حروب نابليون فالفرنسيون يرفضونها والألمان يباركونها.

الإستر اتيجية في القرن التاسع عشر

بعد 1870 انتشرت المدارس العسكرية وشجعت التفكير الاستراتيجي، فبعد ما كان للجنرالات أصبح لتكوين الضباط، وعليه فقد تم مأسسة العلم العسكري في هذا القرن، وبعد 1880 عاد الحوار حول الإستراتيجية مع كتاب تصارع الاستراتيجيات لهانس دولبروخ.

وظهرت العديد من الكتب الإستراتيجية لكنها تركز على الجغرافيا العسكرية والتكتيك أكثر من إرساء علم استراتيجي، وفي هذا الإطار برزت العديد من المدارس التي برزت في هذا القرن مثل:

1. المدرسة الألمانية: التي تشمل العديد من الأسماء خاصة الجنرالات، لكن يبقى كلاوزفيتز هو من أنقذ المدرسة من جمودها.

2. المدرسة الايطالية: مثل بول راشيا وكتابه تحليل دقيق للحرب، وجوزيف جوبي وكتابه عناصر الإستراتيجية والتكتيك.

3. المدرسة الروسية: مثل بوقدنوفيتشي وكتابه دراسة في الإستراتيجية، والعديد من المفكرين الآخرين.

4. المدرسة الفرنسية: فالنقاش حول الجيش لم يكن عميقا في فرنسا التي كانت تعرف استقرار إلى غاية 1870، بخلاف القرن العشرين أين عرفت إنتاجا استراتيجيا كبيرا.[1]

الإستراتيجية في القرن العشرين:

مع بداية الحرب العالمية الأولى كان هناك نقاش حول هيمنة الجانب العملي على الجانب النظري، أي أن القادة في الجبهات العسكرية القتالية لا في الكتابة، أي أن هناك غياب للمنشورات الإستراتيجية، وهنا السؤال المطروح هل اختفت العلوم الإستراتيجية؟

والجواب انه في مراجع محكمة لا توجد لكن في مقالات صحفية موجودة وفي بعض المجلات غير المتخصصة، مع الإشارة إلى إن هناك تدريس للتاريخ العسكري في الجامعات.[2]

الفكر الاستراتيجي في الثلاثينات

أثناء الحرب العالمية الأولى تطور الفكر الاستراتيجي في ألمانيا مع اكتشاف الطائرة والدبابة فيما يخص الهجوم، أما السوفييت فقد طوروا نظرية أصيلة خاصة بهم فالماركسيين والماركسيين الجدد وعلى رأسهم ترو تسكي يقول انه لا يمكننا بناء قاعدة للحرب مع الماركسية، إلا أن هذه الأفكار اصطدمت ببعض الكتابات الماركسية التي تقول انه يمكن بناء مذهب عسكري لا يتغير والذي يجب أن يكون التعبير عن الإرادة الواحدة للطبقة الاجتماعية في السلطة.

أما خلال الحرب العالمية الثانية فلقد أحدثت الحرب انقلاب جذري في المذاهب الإستراتيجية التي كانت سائدة، فالخطط الإستراتيجية لم تعد على حرب صغيرة أو محدودة بل أصبحت على العالم كله، والأسلحة هي التي تفرض قوانينها أما الاستراتيجيات فتجرب جميعها في ميادين المعارك، وهناك انقسام للنزعتين السياسية والعسكرية مع هيمنة النزعة العسكرية نظرا للاختراعات العسكرية الجديدة مثل الطائرة والدبابة والغواصة.

واستمر التنظير الاستراتيجي واستمرت المراجع في الصدور، وخرجت الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب منتصرة، مما جعلها تهتم بالعلوم الإستراتيجية رغم أنها في السابق لم تنتج الكثير باستثناء ميهان، ووضعت الكثير من البرامج البحثية وقامت بترجمات للأدبيات الأوربية، ودرسوا الحروب البرية والبحرية، وأنتجوا تخصص جديد هو الجيو استراتيجية.[1]

إلا أن القطيعة الحقيقية بين النموذجين السياسي والعسكري كان بعد 1945، بسيطرة النزعة السياسية بعد الوصول إلى القنبلة النووية حيث منعت التفكير في وسائل لها غايات عسكرية، ومع تعمق الدراسات أصبح بالإمكان معرفة السياق الاديولوجي الذي ظهرت فيه المدارس والنظريات الإستراتيجية.

وكان هدف الولايات المتحدة الأمريكية هو دحر الشيوعية وتم بلورة مجموعة من النظريات من أهمها الانتقام الشامل، والاستجابة المرنة، والمباريات، وبالمقابل كان هدف الاتحاد السوفيتي هو دحر الرأسمالية.

لكن في عصر العولمة فالولايات المتحدة الأمريكية تعمل على مواجهة التهديدات الجديدة، كالإرهاب وعصابات الجريمة المنظمة والقوميات المتمردة، والخصوم والحلفاء الذين يتبنون مواقف مختلفة، كما أن الاستراحة الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية عقب الحرب الباردة أصبحت مصدر إحراج لها بسبب إخفاقها في تحقيق المثل التي تنادي بها، في ظل بروز منافسين لها كالاتحاد الأوربي والصين.

استراتيجيات الأمن

عادة ما تبنى استراتيجيات الأمن القومي للدول على:

- طبيعة التهديد ونوعية المصدر
- طبيعة الإستراتيجية المضادة.
- طبيعة المصالح.
- الحلفاء والأصدقاء عبر العالم.
- طبيعة الاديولوجية التي تحملها الدولة.

ومثال ذلك إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية بعد إحداث الحادي عشر سبتمبر 2001 والقائمة على تقوية التحالفات الدولية ضد الإرهاب، وتهدئة النزاعات الإقليمية والحيلولة دون وصولها إلى حافة الهاوية، والسيطرة على أسلحة الدمار الشامل والحيلولة دون وصولها إلى الأنظمة الدكتاتورية والجماعات الإرهابية، مع العمل على تشجيع التنمية لمحاربة الفقر والجريمة والإرهاب.

أنواع الاستراتيجيات

1. إستراتيجية الألعاب:

تشبه التفاعلات التي تحدث في العلاقات الدولية باللعب، وسبب هذا الإسقاط هو اتسامها بالعقلانية والإثارة والجذب، فكل لاعب يريد اللعب من اجل الربح أو على الأقل عدم خسارة المباراة كاملة مما يجعل سلوكه أكثر حذر واقل مجازفة.

ومن اجل اللعب الجيد يجب أن يعرف اللاعبون ماذا يريدون وماذا يستطيعون القيام به، وأي خطوة يتخذها أي لاعب تتوقف على توقع ما يمكن أن يفعله الخصم ولهذا تتسم بالعقلانية، وتتمثل أنواع اللعب في السياسات الإستراتيجية والأمنية التالية:

- الالعاب الصفرية:

تكون في حالة الصراع الحاد والأكثر دموية، وربح طرف هو خسارة طرف آخر، وهناك من يرجعها إلى مكيا فيلي فالأمير الذي يتقدم عليه أخر في القوة يعني فقدانه لقوته، كذلك الصراع الاديولوجي أثناء الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية على مناطق النفوذ، وعليه تتدخل الحسابات العقلانية التي لا تترك مجالا للحسابات العاطفية والمشاعر.

- مباريات متغير الجمع(الدافع المختلط):

فهناك تنافس مع الخصم من اجل الربح، لكن في نفس الوقت هناك تنسيق بينهما للربح من طرف أخر، ومثال ذلك التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي على مناطق النفوذ لكن بالمقابل هناك تنسيق بينهما في تقسيم ألمانيا إلى ألمانيا شرقية وألمانيا غربية.

- مباراة الدجاجة أو الجبان(التهديدات المشتركة):

ومثال ذلك وجود سيارتين متقابلتين تسيران بسرعة كبيرة، والذي ينحرف أولا عن الطريق هو الجبان والأخر بطلا، وهناك احتمالين:

- التعاون مع بعضهما بالانحراف عن الطريق لتجنب الاصطدام، وهذا يمثل قمة العقلانية لتجنب الخسارة المشتركة.
- إعلاء الحساب العاطفي وإلغاء العقلانية ومنه الاصطدام، لكن إذا انسحب الأول فان الثاني هو المنتصر لكن الأول هو العقلاني.

ومثال ذلك أزمة كوبا بين كينيدي وكروتشوف، حيث اختارا التعاون بدل المواجهة النووية.

- مأزق السجين(التهديدات والوعود)

تقوم على قصة افتراضية بوجود سجينين لا يمكن إدانتهما إلا باعتراف احدهما على الأخر بشكل إرادي، فيستدعى احدهما وتعرض عليه البراءة مع مكافئة مالية إذا اعترف على صديقه، ويظهر مأزق السجين هنا في:

- احتمال اعتراف كليهما في نفس اليوم وهنا يفقدان البراءة والمكافئة المالية.
- أما إذا التزما الصمت فيبرأن لكن دون مكافئة مالية.

وهنا تتبلور إستراتيجيتهما في ما يلي:

- تعاونهما على عدم الاعتراف وهنا يحصلان على البراءة دون مبلغ.
- التراجع عن التعاون(الصمت) والإسراع في الاعتراف من اجل المبلغ، وهنا يربح الأول البراءة والمبلغ والآخر يدان.
- يعترفان في نفس الوقت فيدانان ويفقدان المبلغ.

وفي ظل ندرة المعلومات التي يمتلكها كل طرف والشك المتبادل فان العقلانية تتطلب عدم التعاون على الرغم من أن عدم التعاون هو الأنسب(الصمت).

إستراتيجية الهيمنة الإقليمية

وتظهر إستراتيجية الدولة في بناء أمنها والمحافظة عليه في سياساتها الخارجية، فالدول العظمى هدفها الهيمنة الإقليمية، أي الامتداد إلى خارج حدودها الجغرافية وهو ما يعني توسيع مجالات وحدود أمنها القومي.

مثلا: - اعتبرت الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب الباردة أن أي اعتداء على أوربا هو اعتداء على أمنها القومي مما يستوجب التدخل العسكري -مبدأ مونرو أمريكا للأمريكيين

ولعل ميرشايمر يستخدم مصطلح الإقليمية بدل الكونية لان هذه الأخيرة تبدو مستعصية وتتطلب قوة عسكرية واقتصادية كبيرة وليس بمقدور أي دولة ذلك.

وهدف القوة المهيمنة هو السيطرة الإقليمية، ومنع أي خصم من المنطقة أو خارجها من تهديد أمنها، والوسيلة تتمثل في المحافظة على ميزان القوة القائم ومنع اي قوة من زعزعته، وهذا ما تجسد مع عهد الإمبراطوريات في أوربا.

إستراتيجية تحقيق الحد الأعلى من الرفاهية

قدم الاستراتيجي ميرشايمر من اجل زيادة تراكم الثروة ومنه القوة العسكرية، باعتبار أن الإمكانيات الاقتصادية تساعد على تطوير القوة العسكرية من اجل السيطرة وتوفير الأمن للدول، على عكس الدول التي تعاني من شح في إمكانياتها الاقتصادية.

وعليه فالدول تسابق داخليا وخارجيا لكسب الثروة الاقتصادية لتطوير أسلحتها وتصبح مصدر للتهديد، فالصين التي تتطور اقتصاديا دون التزامات دولية ،يؤدي إلى توجيه ثروتها إلى الميدان العسكري ومنه قلب ميزان القوة الاستراتيجي.

كما تلجا القوة العظمى إلى حرمان القوى الأخرى من سيطرتها على المناطق الطاقوية والصناعية، ليس بالسيطرة المباشرة بل بخلق حلفاء أقوياء، ومثال ذلك الولايات المتحدة الأمريكية وعلاقتها بدول الخليج أثناء الحرب الباردة، فهي لم تسيطر عليه لكن تحالفت معها، والأمر نفسه بالنسبة لأوربا الغربية.

إستراتيجية تحقيق التفوق في القوة البرية:

أضاف جون ميرشايمر هذه الإستراتيجية باعتبارها تحقق السيطرة الفعلية على مناطق النفوذ، إلا أن هذا لا يعني إلغاء القطاعات الأخرى التي تبقى دعائمها، لهذا يطالب بميزانيات كبيرة للقوات البرية، خاصة لحماية المنشآت والمقرات والطرق.

إستراتيجية التفوق النووي

يعتبر امتلاك السلاح النووي وسيلة لتحقيق الأمن وبناء القوة، ومعيار لتحول الدولة إلى دولة عظمى لها ثقل في الميزان الاستراتيجي العالمي، كما أن امتلاك السلاح النووي يعني القدرة على تدمير الخصم دون الخوف من عواقب الانتقام.

إلا أن هناك من يرى أن الامتلاك المتعادل يحقق الأمن الذي يحد من النزاعات.

استراتيجيات إدارة الصراع

- **إستراتيجية شن الحرب:**

تستخدم الحرب كثيرا في السياسة الخارجية، لكنها تثير جدلا كبيرا بالنظر لنتائجها الوخيمة، خاصة مع الإبادة بالسلاح النووي، وهنا أصبحت الحرب أمام تحدي، حيث أن امتلاك السلاح النووي قلل من احتمال حدوث الحرب بين القوى العظمى.

ومع ذلك ما تزال الإستراتيجية مستمرة في القرن الواحد والعشرين: العراق، ليبيا...، وتاريخيا يسيطر الدافع الاقتصادي على شن الحرب، أي أن الحرب أرباحها أكثر من تكاليفها(التوسع، ضم مناطق النفوذ وتوحيدها، نهب خيارات الدول، استغلال الموارد البشرية في حروب تلك الدول وفي مصانعها)، لكن قد يتحول الاستيلاء الإقليمي إلى مأزق امني واستنزاف للقدرات كما هو الحال بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية في افغنستان.

- **إستراتيجية الابتزاز:**

وتنفذ هذه الإستراتيجية بالتهديد باستخدام القوة العسكرية لإحداث التخويف والإكراه، فمثلا جورج بوش الابن ولإنجاح إستراتيجيته الأمنية في 2001 قام بالتهديد من ليس معنا فهو ضدنا، كذلك تهديد الولايات المتحدة الأمريكية للاتحاد السوفيتي إذا لم يسحب قواته من كوبا فسوف تشن عليه حرب، ويلاحظ أن هذه الإستراتيجية غير مضمونة النتائج لكنها موجودة.

- **إستراتيجية الإرهاق والاستنزاف:**

وهي خوض حرب طويلة بغية استنزاف موارد الخصم اقتصاديا وبشريا للحيلولة دون تطوير قدراته العسكرية وميزان القوى الاستراتيجي، ومثال ذلك الاتحاد السوفيتي الذي عمل على دعم الفيتنام للحيلولة دون انهزامها على يد الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى العكس عملت هذه الأخيرة على دعم افغنستان لإرهاق الاتحاد السوفيتي الذي اجتاح عليها.

- **إستراتيجية إراقة الدماء:**

والهدف منها إراقة الدم حتى لا يخرج طرف منتصر، والمنتصر خاسر كذلك، وفي هذا الإطار يقول هاري ترومان في 1941، إذا رأينا ألمانيا تربح فسوف نساعد روسيا وإذا ربحت روسيا سنساعد ألمانيا وبهذه الطريقة يقتلون بعضهم البعض.

- **إستراتيجية كبح المعتدين:**

وذلك بمنع وصول تكنولوجيا معينة إلى الدولة العدو، وحرمانها من التحالف، ومثال ذلك إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية لمنع إيران من امتلاك السلاح النووي بفرض عقوبات عليها، ويستخدم في هذه الإستراتيجية الإغراء والوعيد، وتسمى إستراتيجية الاحتواء.

- **إستراتيجية تحويل المسؤولية:**

وهي بحث القوى العظمى عن طرف آخر يتحمل أعباء وتكاليف مواجهة التهديدات في منطقة معينة، ومثال ذلك إعلان الرئيس الأمريكي اوباما الانسحاب من افغنستان لتحويل مسؤولية الحرب للأفغانيين أنفسهم تحت دعم الولايات المتحدة الأمريكية للتقليل من التكاليف.

ولعل هذا التهرب من المسؤولية هو لتطوير قدراتها أو الاستعداد للاسوء ، أو للتقليل من تورطها في حروب كثيرة.

- **إستراتيجية الانحياز للطرف الرابح والاسترضاء:**

تلجأ إليها الدول للمحافظة على أمنها ووجودها، وهي خيار الدول الضعيفة في العلاقات الدولية التي تضطر للانضواء تحت قوة عظمى، فيفعل القوي ما يريد ويعاني الضعيف ما يجب أن يعاني، ومثال ذلك أوربا الشرقية التي انضوت تحت لواء الاتحاد السوفيتي، وأوربا الغربية التي انضوت تحت لواء الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب الباردة.

- **إستراتيجية الردع:**

أي قدرة تنفيذ الانتقام الشامل في حالة التعرض للهجوم النووي المعادي.

السياسات الإستراتيجية

وتصمم على ثلاثة عناصر أساسية:

- تعزيز سياسة الردع ضد الهجوم الاستراتيجي على مصالح الدولة أو حلفائها.
- تقوية الاستقرار الاستراتيجي بتقليص دوافع الضربة الأولى في حالة الأزمات.
- تعزيز إستراتيجية مراقبة التسلح.

1. سياسة الاستقرار الاستراتيجي:

يتحقق الاستقرار الاستراتيجي في النظام الدولي عندما يكون احتمال نشوب نزاع بين قوتين عظميين أو مجموعة دول متدنيا جدا، ويتحقق من خلال؛

- العمل السياسي: وذلك بوجود إمكانية كبيرة للتفاوض وحل الخلافات سلميا.
- العمل العسكري: أي وجود قدرة عسكرية كبيرة لمنع الطرف الأخر من القيام بشن هجوم عسكري على الحدود أو تهديد التجارة العالمية.
- سياسة الردع النووي: بمعنى أن التوازن النووي يخلق قناعة بأن أي عمل عدواني يؤدي إلى الكارثة والتي تمس الجميع بالمعنى الاستراتيجي.

ويقوم الاستقرار الاستراتيجي على العمل الجماعي ضمن علاقات وترتيبات متعددة الأطراف تخدم المصلحة المشتركة، أي انه لا يمكن تحقيقه بشكل أحادي.

2. سياسة مراقبة التسلح:

لعل تحقيق الاستقرار الاستراتيجي العالمي يتطلب وضع آليات للحد من الشكوك حول نيات وسلوكيات الدول، ووفرت التكنولوجيا خاصة الأقمار الصناعية رصد تحركات الدول، وهذا ما يؤدي إلى زيادة جهود التعاون لمراقبة التسلح.

وتتمثل أهدافها في ما يلي:

- ضبط التحكم في المنافسة العسكرية.

- تقليص الريبة حول مستقبل انتشار القوة الإستراتيجية.
- تقوية سياسات الردع وتثبيت إستراتيجية الاستقرار العالمي من خلال تكريس بيئة أمنية قابلة للتنبؤ بعمليات الانتشار الاستراتيجي.

المأزق الإستر اتيجية

1. المأزق الأمني:

يعتبر احد وحدات التحليل في الواقعية الجديدة، ويتلخص في أن الإجراءات المتخذة من الدولة أ لزيادة أمنها تؤدي إلى تقليص امن الدول الأخرى، أي تعزيز بقاء دولة هو تهديد بقاء دولة أخرى، وعوض أن يؤدي زيادة وتراكم القوة إلى توفير الأمن ، يؤدي إلى هستيريا كسب المزيد من القوة لدى الدول الأخرى الخائفة من الدولة المتفوقة.

لكن هناك دول تعيش هذا المأزق بخلاف دول أخرى، علاوة على انه قد يؤدي إلى التعاون أو خلق توافقات معينة بين الدول المتنافسة، مثلا مشاركة روسيا في حلف شمال الأطلسي، وفي الحرب ضد الإرهاب.

وينبع المأزق الأمني من حالة الفوضى في النظام الدولي، وقانون الفعل ورد الفعل في التسلح لدى الدول، فضلا عن الثورة في الشؤون العسكرية الذي أدى إلى إهمال إبعاد الأمن الأخرى مثل سهولة نقل السلاح النووي في حقيبة، وفي ثواني وهذا ما يهدد امن الدولة.

لكن فهو واقع معاش في العلاقات الدولية التي يحكمها الخوف والريبة في ظل بروز مؤشرات حول تهديدات أمنية محتملة كزيادة التسلح وعقد التحالفات.

2. مازق الدفاع:

يتمحور مأزق الدفاع حسب باري بوزان حول الأسئلة التالية:

- هل الدول آمنة؟ وهل تشعر حقا بذلك؟
- ما هي سياسات تحقيق الأمن القومي؟
- ما هي الاستراتيجيات اللازمة للمحافظة على الحدود القومية؟

وهناك مفارقة كبيرة في كون القوة العسكرية هي الأداة الرئيسية لتحقيق الأمن وتوازن القوى، في الوقت نفسه تعد مصدر من مصادر عدم الأمن للآخرين، وفي ظل الفوضى في النظام الدولي فيجب

على الدولة أن تطور قوتها لاحتواء التهديدات المختلفة ومواجهة المشاكل المختلفة المتكررة. والحروب بين الدول أو داخل الدول مثل أزمة اليمن التي جلبت تدخلات إقليمية فيها.

وهناك مجموعة من التحديات التي تمثل مصادر النزاع التي تواجه الأمن القومي للدول منها؛ فوضى النظام الدولي، سباق التسلح، سوء الفهم والإدراك.

ويتبلور المأزق الدفاعي في أن تطوير الأسلحة لدى الطرف المنافس، يستلزم رد الفعل من اجل التوازن أو إحداث خلل.

إلا أن المأزق الدفاعي يتصاحب مع بعض التحديات الأمنية الأخرى؛ اقتصاديا، اجتماعيا، بيئيا...، كما يطبق المأزق الدفاعي بين دولتين نوويتين من خلال الانتقام الشامل او ضمان التدمير المتبادل.

أي أن إستراتيجية الدفاع هي التهديد بالتدمير الشامل للعدو (أي الصمود للضربة الأولى والقدرة على الرد) لهذا فالسلاح النووي لا يحقق الأمن في حد ذاته بل إلى الاستعداد إلى الحرب النووية عند أي نزاع.

والمضمون المركزي للدفاع هو حماية الكيان المحلي من التمزق من قبل الهجوم العسكري الخارجي أو من قبل الاضطراب الداخلي، لهذا يجب تطوير صمود القطاعات السياسية والاقتصادية والثقافية.

إلا انه تراجعت قابلية تطبيق فكرة الدفاع القومي كحل لمشكلة الأمن القومي، مثلا رغم قوة الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية إلا أن امتلاك الاتحاد السوفيتي للسلاح النووي والصواريخ البالستية جعل الأمن الأمريكي على المحك، ولهذا فهو لم يؤدي إلى زيادة الأمن بقدر ما أدى إلى زيادة الخوف والريبة والشعور بعدم الأمن.

3. مأزق قوة الأمن.

لقد فكك بوزان مأزق قوة الأمن في ما يلي:

- القوة والأمن: فالكفاح من اجل القوة والكفاح من اجل الأمن يعكسان المشاكل السياسية التي تعاني منها الدول، أي ماذا يتوقع عند كسب الخصم قدرة عسكرية زائدة عن الحاجة أو ذات طابع هجومي.
- إبراز علاقة الدفاع بالكفاح من اجل القوة، ومن اجل الأمن والدفاع فإما التصدي لقوة معادية اخترقت حزامه الأمني، وأما المبادرة بتدمير مصادر التهديد القائمة، ولهذا فالسعي وراء القوة والسعي وراء الأمن إستراتيجية لتحقيق الأمن القومي، أي صعوبة التمييز بين السياسة الأمنية وراء القوة أو وراء الأمن.

إلا انه يمكن التمييز بينهما حسب النظام الدولي، فمثلا العلاقات السوفيتية الأمريكية فيها تنافس، فنظريا أحيانا هناك تنافس من اجل القوة وأحيانا تنافس من اجل الأمن لكن واقعيا هناك صعوبة للتمييز بينهما، أي إذا أرادت الدولة تغيير ميزان القوة فهي في كفاح من اجل القوة، أما إذا كانت تريد الحفاظ على الوضع القائم فهي كفاح من اجل الأمن من خلال التلاحم الطبيعي للمصالح.

غير أن سعي الدول للقوة أمر جذاب للدول، لكن يورط في كثير من المشاكل الأمنية، أي زيادة القوة العسكرية يؤدي إلى زيادة عدد الأعداء وزيادة الريبة والخوف

الأمن الدولي

تعرض الأمن الدولي في فترة الحرب الباردة إلى أزمة حادة، بوشوك قيام حرب ساخنة بين المعسكرين في ظل الصراع حول مناطق النفوذ في آسيا وإفريقيا، وبعد الحرب الباردة طرح التساؤل حول نظام الأمن الدولي في هذه الفترة الجديدة، فأوربا سعت إلى بلورة سياسة أمنية وخارجية أوربية مشتركة، والناتو عمل إلى دعم مكاسبه الأمنية وانتهاج سياسية تتماشى وطبيعة التهديدات الجديدة,

وعليه فالآمن علميا موضوع مركزي اهتم به دارسو السياسة الدولية منذ المحاورة الأولى بين المثالية والواقعية، حيث ترى المثالية إمكانية قيام نظام دولي سلمي خاصة مع بروز عصبة الأمم، أما الواقعية التي سيطرت على التحليل خلال الحرب الباردة ترى إمكانية استعمال الدولة للقوة لمواجهة الأخطار وتحقيق الأمن، أما الليبرالية البنيوية فقد ركزت على السلام الديمقراطي الذي ينطلق من المنطق الكانطي، الذي يؤكد أن انتشار الديمقراطية يؤدي إلى زيادة الأمن الدولي.

أما على المستوى العملي فأهمية الأمن تتجلى من خلال إدراك الدول لبيئتها الأمنية الداخلية والخارجية ومنه صياغة منظوماتها الأمنية انطلاقا من قدراتها على التموقع في النظام الدولي.

الاتجاه التقليدي لمفهوم الأمن

الأمن هو الدافع الطبيعي لسلوك الأفراد والمجتمعات لتحقيق السلم والاستقرار كبديل لحالة الخوف والضرر، وسيطر هذا الاتجاه على مفهوم الأمن من مطلع الخمسينات الى منتصف الثمانينات من القرن العشرين، حيث هيمن موضوع مركزية الدولة على تحليلات الشؤون الدولية، بالتركيز على التهديدات ذات الطابع العسكري على القيم الحيوية للدولة(البقاء والاستقلال الوطني).

وعليه فطبيعة التهديد الأمني تأتي من خارج حدود الدولة، وجوهر التهديد الأمني يحمل صفة عسكرية، ومنه يجب الاعتماد على الأسلوب العسكري للرد.

لهذا يعرف ليبرمان الأمن على انه: المحافظة على القيم الأساسية في حالة السلم والحرب.

أي أن القوة العسكرية تعتبر أساسية للحفاظ على الأمن وتحقيقه، والجانب الحربي والتسلحي ضروري والعمل على زيادته يوفر الشعور بالأمن من التهديد.

كما يعرف عبد الوهاب الكيالي الأمن بأنه: هو تامين سلامة الدولة من الأخطار الداخلية والخارجية التي قد تؤدي إلى الوقوع تحت سيطرة أجنبية نتيجة ضغوط خارجية أو انهيار داخلي.

كما يعرف أيضا على انه قدرة الدولة على صد العدوان الخارجي.

وعليه فالدراسات الأمنية تركز على ظاهرة الحرب واستكشاف الظروف التي يصبح فيها استعمال القوة ممكنا، والطرق التي يؤثر بها استخدام القوة على الأفراد والدول والمجتمعات والسياسات التي تتبناها الدول للاستعداد إلى الحرب، كما أن حقل الدراسات الأمنية يتمحور حول موضوعين هما: أسباب الحرب وطرق منعها والإستراتيجية أي مقدار القوة العسكرية المستعملة لأغراض السياسية.

ومع مرور الوقت أصبح الاستعداد للحرب عبر التسلح الموضوع الشائع للدراسات الأمنية، كما أصبح مصطلح الدراسات الأمنية مرادف للدراسات الإستراتيجية خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أصبح الاقتصار على التهديدات ذات الطابع العسكري وهي نظرة اختزالية لمفهوم الأمن، كما تم التركيز على الجوانب المادية للتهديد كنسبة التسلح دون التركيز على نمط التفاعلات.

الاتجاه المعاصر في تحديد مفهوم الأمن:

إلا انه مع منتصف الثمانينات وانهيار الاتحاد السوفيتي، تغيرت مصادر التهديد حيث تزايدت مشاكل الهجرة غير الشرعية، وتفشت الصراعات الداخلية والتهديدات العابرة للأوطان (أمراض، مشكلة اللاجئين، الإرهاب، مشاكل البيئة...) فضلا عن مخاطر المخدرات والجرائم المعلوماتية.

كما تغيرت الفواعل، حيث لم تعد الدولة الفاعل الوحدوي والعقلاني، حيث ظهرت فواعل جديدة كالمنظمات عبر القومية، الأفراد...كما أن الدولة وجدت نفسها أمام تحديات كبيرة منها:

- تحدي اقتصادي بفعل تنامي الاعتماد المتبادل بين الدول الأمر الذي وضع الأمن الاقتصادي للدولة تحت سلطة دولة أخرى، وذلك لتوفير المستلزمات وتسويق المنتجات.
- تحدي قيمي: فالثورة التكنولوجية في وسائل الإعلام والاتصال زعزع سلطة الدولة التربوية والقيمية في إقليمها، وهنا أصبحت الحدود السياسية لا تتطابق مع حقيقة الواقع.
- تحدي امني: حيث أن التطور التكنولوجي في الجانب العسكري ألغى حرمة الحدود ومفهوم الزمان والمكان في التخطيط الاستراتيجي، علاوة على إمكانية حصول الدول على السلاح النووي في فترة قصيرة جدا نتيجة الشعور بالتهديد، مع انكشاف امن الدولة بفعل التجسس بالأقمار الصناعية وتراجع مكانة الأحلاف إذ أن دولة نووية واحدة تتحدى حلف بكامله.

وعليه فالمفهوم الشامل للأمن يتضمن الدلالات التالية:

1. البعد النفسي في إدراك الحالة الأمنية: فالتحرر من الخوف أو الحاجة إلى الأمن هي أولى الحاجيات التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها بعد الحاجة البيولوجية، وهو حالة شعورية تجد الدولة نفسها بمنأى عن أي تهديد للوجود والبقاء.

2. البعد السياسي في تكوين القيمة الأمنية: وذلك من خلال حماية الكيان وصيانة المصالح الحيوية من التدخلات الخارجية، أي سلامة الأراضي والاستقلال، وبذلك فهي مرادف لأهداف السياسة الخارجية.

3. البعد التنموي للعملية الأمنية: فالتنمية محدد أساسي لمفهوم الأمن، وروبرت مكنمارا يركز على أولوية البعد الاقتصادي في تحقيق الأمن، والأمن السياسي هو نتاج الأمن الاقتصادي، آي أن توفير الحاجات الاساسة غذاء وصحة من أهم جوانب الأمن للسكان.

4. الدلالات الاجتماعية للبناء الأمني: فالبني الاجتماعية داخل الدولة تؤثر بالإيجاب والسلب، فالتنوع الداخلي الذي يجب تعبئته من اجل التحصين الأمني للدولة.

فالاتجاه الجديد حاول الخروج من التبعية الدولتية والعسكرة إلى التركيز على الإبعاد الأخرى كالسياسي والاقتصادي والاجتماعي، وهو ما ركز عليه باري بوزان في كتابه الشعب والدول والخوف.

وفي هذا الإطار أصبح موضوع الدراسات الأمنية يركز على :

- البعد السياسي ويشمل حماية كيان الدولة.
- البعد الاقتصادي ويشمل ضمان حاجيات الأفراد.
- البعد الاجتماعي والذي يعزز الشعور بالانتماء والولاء لدى المواطنين.
- البعد الإيديولوجي ويشمل حماية المعتقدات والأفكار.
- البعد البيئي ويتمثل في الحماية من الأخطار البيئية.

مستويات الأمن

1 **الأمن الدولي:** وهو يتعلق بأمن كل دولة عضو في النظام الدولي، ويرتبط بالمنظمات الدولية ويتصف بوجود جهاز دولي لردع العدوان كمجلس الأمن، ووجود تنظيم لتجريم العدوان(القانون الدولي) ووجود إجراءات لتجريم العدوان كالفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، والفقه الدولي يركز على التدابير الجماعية المنصوص عليها في الفصل السادس والسابع من ميثاق الأمم المتحدة التي تتخذها الجماعة الدولية ضد المعتدي في حالات تهديد السلم والأمن الدوليين، وعليه فهو يفهم في إطار تحريم استخدام القوة أو التهديد باستخدامها. كما يتطلب آليات عمل جماعية، كنظام توازن القوى* الذي ظهر عقب نضام وستفاليا 1648، ونظام الأمن الجماعي*

2. الأمن الإقليمي: وهو مرتبط بالإقليم أي علاقات الأمن بين الدول المجاورة، وهو مرتبط بالمنظمات الإقليمية التي ظهرت عقب الحرب العالمية الثانية، وفي هذا الإطار تجدر الإشارة إلى ضرورة التمييز بين المفاهيم التالية:

- الأحلاف والتي تعرف على أنها التعهد بالمساعدة المتبادلة بين الدول في حالة الحرب.

- المجتمع الأمني والذي يدل على أن مجموعة الدول التي تؤكد على عدم الدخول في أي خلاف بيني وضرورة اللجوء إلى حل الخلافات بالطرق الأخرى، ووضع المفهوم كارل دوتش بجعل أوربا مجتمع امني واحد.

- الأنظمة الأمنية: وهو أن تضع مجموعة من الدول مجموعة من المبادئ كعدم استخدام القوة العسكرية واحترام الحدود الدولية القائمة.

3. الأمن الوطني: هناك من يرجع المفهوم إلى الحرب العالمية الثانية إلا أن جوزيف ناي فيعتقد انه نتاج الحرب الباردة، وهو يعني حماية القيم المركزية للدولة(بقاء الدولة ، الاستقلال الوطني، الوحدة الترابية، الرفاه الاقتصادي، الحريات الأساسية، الهوية) من مصادر التهديد التي قد تكون عسكرية أو غير عسكرية مع بلورة الاستراتيجيات لتحقيق الأمن الوطني.

4. الأمن الإنساني: فنظرا لبروز مفهوم التدخل الإنساني ضد السيادة، حيث أصبحت الدولة الآمنة لا تعني أفراد امنين، أي أن حماية الأفراد لن يتحقق من خلال حماية الدولة كوحدة سياسية لكن من خلال التركيز على الرفاهية ونوعية الحياة، وهنا أصبحت الدراسات الأمنية تركز على اللاجئين ومشاكل البيئة...

5. الأمن المجتمعي : أي امن الجماعات والأقليات، وهي التي يمكن أن تهدد من السلطة أو المجتمع أو الدول.

النظريات الأمنية:

النظرية الو اقعية:

هيمنت على تفسير العلاقات الدولية إذ تشكل التفسير الأمثل للحرب والصراع، وعليه تشكل الهيمنة النظرية في العلاقات الدولية، وتبلورت بفعل اهتزاز الافتراضات المثالية، والارتقاء الأمريكي ومصاحبة التفسيرات الواقعية له.

والواقعية لا تشكل نظرية واحدة بل هناك تعدد في هذا المذهب ويمكن تصنيفها إلى:

- من حيث الزمن: فهناك الواقعية التقليدية التي تمتد من القرن الخامس قبل الميلاد والى بداية القرن العشرين، وهناك الواقعية الحديثة التي تمتد من بداية الحرب العالمية الثانية

والى غاية نهاية السبعينات من القرن الماضي، علاوة على الواقعية المعاصرة التي جاءت مع أفكار كنيث وولتز.

- من حيث الموضوع(القضايا المركزية): فهناك الواقعية التاريخية التي جاءت مع أفكار مكيافيلي الذي يؤكد بان القائد السياسي يوظف العالم الخارجي لمصلحته، وهناك الواقعية التقليدية التي تؤكد بان السياسة الدولية هي صراع قوة ونفوذ وسيطرة انطلاقا من طبيعة البشر، وهو ما جاء به هانس مورغانتو في كتابه السياسة بين الأمم، فضلا عن الواقعية البنيوية أو الجديدة التي جاءت مع أفكار كنيث والتز التي تربط حالة الصراع بفوضوية النظام الدولي.

وتتجسد المفاهيم المركزية للواقعية في القوة التي تعتبر وسيلة وغاية وهي دافع ونتيجة لسلوك الدولة، والمصلحة الوطنية، وتوازن القوة.

ويتمحور التصور الأمني الواقعي في ثلاث نقاط تمثل زوايا المثلث الأمني الواقعي وهي:

- الدولة: وهي فاعل أساسي في العلاقات الدولية، وفي هذا الإطار فالتفاعل ذو طبيعة دولتية فقط.
- البقاء: ويشكل أولوية الأهداف، أي حماية الدولة من التدخل الخارجي.
- الاعتماد الذاتي: وهو الأداة المثلى لتحقيق الهدف، ومنه استبعاد التعاون الدولي.

ولهذا فالطرح الدولاتي الأمني للواقعية انحصر في حدود ضيقة حيث أن:

- امن الأفراد يتحقق من خلال احتكار العنف من الدولة لتوفير الأمن لهم.
- وخارجيا فالدولة تهدف إلى تحقيق الأمن والتطلع للهيمنة.
- أما التفاعل فهو ذو طابع تنافسي صراعي أي أن المعادلة الأمنية صفرية، بمعنى أن امن دولة هو نقصان لأمن الدولة الأخرى وهنا تنتفي أسباب التعاون.
- وحدوية الدولة: فالفواعل الأخرى تعرف ضمن إطار الدول كالشركات والمنظمات

وعليه فالهندسة الواقعية للدراسات الأمنية تقوم على القوة في حدودها العسكرية بالاستخدام او بالتهديد، والدولاتية.

المعضلة الأمنية في التحليل الواقعي:

فمحاولة الدول لتحقيق متطلباتها الأمنية يعرض دول أخرى للخطر، أي أن كل طرف يرى الإجراءات التي يقوم بها دفاعية لكن الإجراءات التي يقوم بها الأخر تشكل تهديد، وعليه فالشك عامل مهم في سلوكيات الدول خاصة في ظل بيئة فوضوية، وليس فقط في الجانب العسكري بل يمتد إلى الإجراءات الاقتصادية والسياسية وتزداد أهمية في الدول ذات الرصيد النزاعي.

وفي ظل استحكام المعضلة الأمنية بالشك وانعدام الثقة فإن المسارات التعاونية معطلة بسبب مسألة الغش وانعدام الثقة ومسألة المكاسب النسبية.

غير انه تجدر إلى الإشارة إلى التكيف الواقعي مع المسألة الأمنية حيث تم تقديم أساليب للتعاون بين الدول كبديل للصراع الذي ركز عليه والتز وجون ميرشايمر، ومنه بلورة مفهوم للواقعية المشروطة التي تقوم على:

على كون التنافس ليس مطلقا في العلاقات الدولية بل هناك تعاون مثل مواجهة أخطار سباق التسلح، ورفض المكاسب النسبية والتركيز على التكافؤ التقريبي، كما أن التسليم بمسألة الغش أمر مبالغ فيه.

التصور الأمني للنظرية اللبرالية

هناك تعدد بالنسبة للنظرية اللبرالية ومنها:

1 اللبرالية البنيوية:لكارل دويل وبروس راست، وتؤكد على أن التحليل الأمني يجب أن يرتكز على التغير الديمقراطي ، أي أن انتشار الديمقراطية يؤدي إلى انتشار السلام والتعاون، ولهذا فهي تنطلق من الفكر الكانطي الذي يركز على ان الديمقراطيات لا تتصارع، بفعل الرقابة الشعبية على أعمال الحكومة تؤدي إلى تلافي النزاعات.

ويجادل دويل بان الأمن الدولي يقوم على التمثيل الديمقراطي الجمهوري، والالتزام الاديولوجي لحقوق الإنسان، والترابط العابر للحدود الوطنية، أي أن غيابها يؤدي إلى انتشار الصراعات.

ومن هذا المنطلق فالدول الديمقراطية تلجأ إلى تسوية خلافاتها عند تعارض مصالحها دون اللجوء إلى استخدام أو التهديد بالقوة العسكرية، لان الأطر المؤسساتية المشتركة تمنع التعقيد ومنه اللجوء إلى التفاوض.

غير انه تجدر الإشارة إلى النزاعات قد تنتفي بين الدول نتيجة التقاطع الاستراتيجي او التاريخ المشترك وليس نتيجة التوافق اللبرالي.

كما يجادل بروست راست بان صانع القرار في الدولة يتجه إلى عدم العنف ومنه افتراض سلوك صانع القرار في الدولة الأخرى سيأخذ نفس النهج، كما أن توافر نظام الضبط والتوازن في تعطيل قرار اللجوء إلى القوة بفضل شرط الموافقة الشعبية لقرار الحرب يؤدي إلى تلافي النزاعات.

ولهذا فله دور في حل المعضلة الأمنية بين الدول المتقاربة نسبيا إذ تصبح المؤسسات الضامن الوحيد لاستيعابها، ولعل ما يؤكد ذلك تزايد الدول الديمقراطية وقلة النزاعات بين الدول الديمقراطية خاصة في فترة ما بعد الحرب الباردة.

2 الليبرالية المؤسساتية:

وتؤكد على دور المؤسسات في تحقيق الأمن الدولي، خاصة مع نجاح المؤسسات الاندماجية كالاتحاد الأوربي وحلف الناتو في تطوير النظم الأمنية المستقرة، وهو ما يبرر النجاح المؤسساتي والتعاون المؤسساتي بين الدول الذي من شأنه أن يطرح فرص حتى بين الدول التي عرفت صراعات.

النظرية البنائية:

تعد كتابات الكسندر ووندت مرجعية في السياسة الدولية، خاصة مؤلفه الموسوم بالفوضى ما تصنعه الدول: التفسير الاجتماعي لسياسة القوة،

والبنائية تنظر للنظام الدولي نظرة اجتماعية، حيث تركز على دور الأفكار والبني الاجتماعية في تشكيل الواقع، وتمثل جسر للهوة، حيث أنها العقلانية المقبولة لدى التأمليين، والتأملية المقبولة لدى الواقعيين.

كما أن البنائية لم تناقش أفكار الواقعيين واللبراليين كما فعلت النقدية وما بعد الحداثة، غير أنها بحثت في اطر جديدة للمعرفة بعيدة عن منطلقات العقلانيين وهي بذلك:

- تتجاوز العلاقة الانفصالية بين الفاعل والبنية، أي أنها ترفض الفصل بين الفاعل والبنية من خلال التكوين المتبادل، كون النظام الدولي يتكون ويتحدد من خلال سلوكيات الفاعلين(الواقعية التقليدية) وسلوكيات الفاعلين تتحدد من خلال ترتيبات النظام الدولي(الواقعية التقليدية).
- إعطاء الأهمية للسلوكيات السابقة للدول كمرجع لتفسير السلوكيات الحالية.

وعليه فالتصور الأمني البنائي يركز على دور البنى الاجتماعية في تفسير الواقع الدولي، فالقوة لا تركز على العنصر المادي فقط بل إدراك تلك القوة من طرف الدولة أو من باقي الدول،كما أن تهديد العدو الخارجي لا يعرف بمدى ارتباطه بالقوة العسكرية بل بالأفكار المسبقة عنه وبالفهم الجماعي لقوته، وعليه فالأمن في محصلته اجتماعي أكثر منه مادي.

كما أن البنائية ترفض التفسير المطلق للمعضلة الأمنية في العلاقات الدولية، بمعنى أن التهديد واحد في كل الحالات، بل إن الإدراك الجماعي هو الذي يتحكم في تشكيل التهديد وتوجيهه، وهذا ما يسمى بالتذاتانية الأمنية، أي البحث في التكوينات والتفاعلات الاجتماعية للفواعل لإدراك الحالة الأمنية، وتدل على دور الاديولوجيات والقيم واللغة في تشكيل الهوية ومنه تحديد سلوك الفواعل، أي أن المعايير تحدد الهوية وهي بدورها تحدد المصالح هذه الأخيرة تحدد الفعل.

وانتقدت البنائية كل من الواقعية واللبرالية من خلال الفشل في توقع نهاية الحرب الباردة نضرا لعدم إلمامها بالجوانب غير المادية في النظام الدولي خاصة الأفكار. كما أنهما لم يقدما فهما لأسباب سقوط الاتحاد السوفيتي حيث ركزتا على البيئة الدولية دون الإلمام بالتغيرات الداخلية للمجتمع السوفيتي.

والمقاربة الأمنية للبنائية تفكك علاقة الهوية بالمصلحة وهو ما ينتج السلوكيات الأمنية للفواعل وليس الفوضى كما عند الواقعية، هذا الأخير هو ما تصنعه الدول وليس وضعا مسلما، علاوة على أن الهوية التي الهملت لها دور في تفسير النزاعات الداخلية، ودور في تشكيل المصالح وسلوكيات الدول تعاونا وتنافسا، أي كلما زاد الاهتمام بالهويات للفواعل كلما تشكلت مصالح مشتركة تعبر عن هويات جماعية وهذا بدل المصالح القومية كما هو عند الواقعية واللبرالية، والهوية الجماعية تأتي بعد التفاعل عكس الهوية الدولاتية قبل التفاعل.

وخلاصة القول فالبنائية تركز على انه إذا سلكت دولة ما إجراءات بناء الثقة وقللت من تصرفاتها الدفاعية فستدفع الدول الأخرى إلى نفس المسعى وهو ما يحقق الأمن الدولي

النظرية النقدية

نتجت عن مدرسة فرانكفورت في ثمانينات القرن العشرين، وهناك من يسميها الماركسية الجديدة او الجرامشية المتجددة*، وقدمت نقدا عميقا للنظريات التقليدية خاصة الواقعية، إلا انه ورغم الانتقادات المقدمة للواقعية إلا أن هناك قاسم مشترك لبعض الالتزامات، فمع الواقعية تتقاسم فكرة أن الهدف الاسمي للدولة هو البقاء، كما أن الاختيار العقلاني للدولة هو استخدام القوة في حالة التهديد، وتشترك مع الواقعية الجديدة في كون بنية النظام الدولي تحدد سلوكيات الدول تعاونا آو تنافسا، وفي فكرة الطبيعة الفوضوية للنظام الدولي، فضلا عن الاتفاق حول المعضلة الأمنية التي تحدث لانعدام الثقة مع الاختلاف في منشأها، فالواقعية الجديدة ترى أنها نابعة من شعور الدول بالتهديدات الأمنية حتى وان لم تكن فعلا من خلال سوء النية والإدراك السيئ تجاه الدول الأخرى، أما النقدية فترى أن التجارب السابقة والمعرفة المشتركة قد تدل على أن الدولة مسالمة ولم تدخل في نزاع مسبق معها فلا يعقل أن تفسر سياساتها على أنها تهديد لها كما هو في مأزق المعضلة الأمنية.

*تسمى الماركسية الجديدة لأنها عبارة عن انتقادات اجتماعية وثقافية ذات توجه ماركسي اذ تركز على متغير الثقافة والايدولوجيا في توجيه العلاقات الاجتماعية، أما الجرامشية الجديدة كونها تطرح فكرة الهيمنة أي فرض السيطرة على الغالبية وقبول الوضع القائم.

كما تساعد سياسات الطمأنة والفهم المشترك من خلال المعاملة بالمثل على تكوين جماعة أمنية تتمتع بالسلام ولهذا فهي تطرح مفهوم الجماعة الأمنية كبديل للمعضلة الأمنية التي يطرحها الواقعيون.